الشبهة التاسعة

اقتحام السنة حواجز الغيب

من الأمور القادحة فى صدق السنة وصحتها عند منكريها المعاصرين، ما فيها من أحاديث تتحدث عن الأمور الغيبية وهذا - عندهم - لا يصح، لأن النبى - ﷺ بشر والبشر لا يعلمون الغيب؟

إن علم ما فى الغيب مقصور على الله وحده، وإن القرآن أمر النبى أن يعلن للناس أنه لا يعلم الغيب، إذن فوجود أحاديث في صحاح كتب السنة، كالبخارى ومسلم، تتحدث عن أمور غيبية، كأحاديث نعيم القبر وعذابه، وأهوال القيامة وصفة الجنة والنار، وما حدّث به النبي فى حياته عن أمور ستحدث بعده في الحياة الدنيا، أو ما حدَّث عن أمور وقعت فى مكان غير المكان الذى هو فيه، كمقتل أحد زعماء الفرس، وما جرى على هذا المنوال كل هذه علامات على أن السنة المروية في الكتب الآن، لا تصح نسبتها إلى الرسول، وإن استوفت شروط الصحة التى تواطأ عليها علماء الحديث ؟!

ويتساءلون: كيف علم النبى أن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار؟

وكيف علم أن صاحبى القبرين اللذين مر عليهما يعذبان، وما يعذبان فى كبير، وأن أحدهما كان لا يستبرئ من بوله، والآخر كان يمشي بالنميمة، بين الناس.

وكيف علم أن الله يصلح بين بعض عباده يوم القيامة، ويقول لمن أصلح بينهما: «خذ بيد أخيك وادخلا الجنة»؟!

وعلى أى أساس بشَّر عشرة من أصحابه بالجنة، حتى صارت هذه البشارة عنوانا عليهم «العشرة المبشرون بالجنة»؟!

وكيف علم أن فى يوم القيامة شفاعات لغير الله يدخل بسببها أناس الجنة، وهم حسب أعمالهم من أصحاب النار؟

وكيف اقتحم أستار الجنة والنار وأطلع على أهلهما فوجد أكثر أهل النار من النساء؟

ويقولون: إن هذه الأخبار كلها موضوعة ولو بلغت أعلى درجات الصحة، لأن الله تعالى كرر فى كتابه العزيز أن الغيب لا يعلمه أحد سواه:

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]

ويقول عز وجل:

﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥]

وقال مخاطبا رسوله:

﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]

﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]

أليست هذه أدلة قاطعة على أن ما رواه الرواة منسوبا إلى النبى من شئون الغيب الزمانى والمكانى تزوير على رسول الله؟!

هذا ما يردده هؤلاء المضلون، ونريد أن نذكر - هنا - القارئ الكريم بحقيقة أشرنا إليها من قبل، لأهمية هذه الحقيقة فى هذه الدراسة الكاشفة لأوهام منكرى السنة النبوية حزب الشيطان، ونصوغها فى العبارة الوجيزة الآتية:

● أن منكرى السنة، إما أن يكونوا جهلاء جهلا مركبا أن كانوا حسنى النية فيما يقولون.

وإما أن يكونوا معاندين عملاء لأعداء الأمة والوطن، ومحال أن يكون وراء هذين السببين سبب ثالث.

تفنيد هذه الشبهة ونقضها :

مسئولية الجهل وراء هذه الشبهة تعلن عن نفسها بصوت عالٍ، ولندع مسئولية العناد جانبا الآن.

والجهل – هنا – مركب، وهو داء عياء.

● فهم أولاً جاهلون بمنزلة رسل الله، وفى مقدمتهم خاتم النبيين.

● وهم ثانيا جاهلون بالقرآن ومقاصده وقيمه ومبادئه.

● وهم ثالثا جاهلون بالسنة من ألفها إلى يائها.

● وهم رابعا جاهلون بأنهم جاهلون.

وإذا اجتمعت ضروب الجهل هذه فى أناس، فالصمت خير لهم من الكلام، والموت أستر لهم من الحياة.

جاهلون بمنزلة رسل الله عند الله، وهم بسبب هذا الجهل ينظرون إلى الرسول كأنه واحد منهم، ليست له خصوصية كرامة وتكريم عند الله، ولا خصوصية تأييد بالنصر وخوارق المألوف عند عامة الناس. وأن الله يجرى على أيديهم ما يضن به على سائر خلقه، تثبيتًا لهم، وتصديقا لرسالاتهم.

وجاهلون بالقرآن، ولو كانوا قد رُزقوا حسن فهمه ووقفوا على ظواهر معانيه ودقائقها لما ساغ لهم أن يرددوا هذا القول الناعى عليهم بالويل والثبور، وعظائم الأمور.

فمحمد ﷺ لم يكن أول رسول يمزق الله له حواجز الزمان والمكان، ويطلعه على بعض الغيوب التى لم يكن ليعلمها لولا فتح الله عليه بها.

ألم يخبرنا القرآن أن الله أطلع يوسف عليه السلام، وهو غلام، حين ألقاه إخوته فى الجب ليتخلصوا منه ويصفو لهم قلب أبيهم ووجهه؟

ألم يقرأوا قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٥]

ثم دار الفلك دورته، وجاءت لحظة الإنباء، فقال لهم يوسف عليه السلام:

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ [يوسف: ٨٩]

أليس هذا غيبا كان الله قد أنبأ به نبيه يوسف عليه السلام، فوقع كما أنبأه الله به.

ثم ألم يقرأوا أن الله منَّ على يوسف مرة أخرى إذا أطلعه على غيب زمانى قبل أن يقع بعشرات السنين، أنبأه به عن طريق الرؤيا الصادقة.

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤]

ثم دار الفلك دورته فصدق الله رسوله يوسف تلك الرؤيا لما رأى إخوته وأباه وأمه يحيونه بمصر بعد قدومهم إليها. وفى هذا يقول الحق عز وجل:

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ١٠٠]

ثم ألم يخرق الله ليعقوب عليه السلام أستار الغيب المكانى فنقل إليه ريح

(رائحة) ولده يوسف من مصر إلى الشام حتى لكأنهما يتعانقان فى مكان واحد، وقد حكى القرآن هذه «المعجزة» على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤]

إن هذه الريح (الرائحة) التى حملتها يد القدرة الإلهية فأمتعت بها مشاعر يعقوب لم يشعر بها مجالسوه فى المكان نفسه، فنسبوه إلى التخريف قائلين:

﴿.... تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]

ولم يقف عطاء الله الإعجازى على يوسف وأبيه، بل كان لأم موسى – عليه السلام – منه نصيب.

ألم يقل لها أصدق القائلين مخبرا بوحيه إليها: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]

فقد أخبرها بأنه سيرده إليها، ويجعله رسولاً، وهذا غيب زمانى كما ترى.

ثم وقع هذا الغيب بشقيه: الرد، والرسالة، كما أخبر الله أم موسى:

أما الرد فقال الله فيه:

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ...﴾ [القصص: ١٣]

وأما الرسالة، فقد قال الله فيها:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤]

أفليست هذه غيوبا أطلع الله عليها بعض رسله وأوليائه؟

وكذلك صنع الله عز وجل مع رسوله الكريم عيسى بن مريم عليه السلام،

وتحدَّث بذلك عيسى باعتباره آية من آيات الرسالة، التى كرمه الله بها إلى بنى اسرائيل.

أفلم يقرأ هؤلاء الجهلة. أو المعاندون ما حكاه القرآن الأمين عن عيسى عليه السلام:

﴿ ... وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٩]

هل كان مع عيسى أجهزة تجسس يرصد بها أسرار الناس فى البيوت؟!

أم أن عيسى – عليه السلام – رسول مؤيد من عند الله بالمعجزات زمانية كانت أو مكانية.

وهل لمن يجهل هذه الحقائق أن ينصب من نفسه عالما جهبذا أوتى علوم الأولين والآخرين، بل تفوَّق فى العلم على أنبياء الله ورسله، وعلا جهله على حقائق الوحى الأمين، وإذا كان هذا هو فضل الله على يعقوب ويوسف وعيسى عليهم السلام، وعلى أم موسى رضى الله عنها، فكيف يستكثر هؤلاء (البهاليل) على خاتم الأنبياء والرسل أن يطلعه على بعض الغيوب الزمانية والمكانية، وهو رسول الله إلى الناس جميعا حتى قيام الساعة ؟!

إن الرسل لا يملكون الإطلاع على الغيب بذواتهم، وإنما يمن عليهم علام الغيوب بما يشاء هو لا بما يشاءون هم.

وقد أعلن الله فى كتابه أنه وحده هو عالم الغيب وفى الوقت نفسه أعلن أنه يُطلع من يشاء من رسله على أشياء من الغيب بمقتضى إرادته وحكمته، وإذا أطلع بعض رسله على بعض الغيوب فليس معناه أن هؤلاء الرسل صاروا شركاء لله فى علم الغيب، وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده. ولكن جهل منكرى السنة هو مصيبة فوق كل المصائب عندهم، قاتلهم الله.

ألم يقرأوا قول أحكم الحاكمين:

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧]

ونسأل منكرى السنة هذا السؤال، تعليقا على إنكارهم إخبار السنة ببعض الغيوب:

هل محمد عندكم رسول أم غير رسول؟

فإن قلتم هو رسول قلنا لكم إن الله فى كتابه أعلن أنه يطلع من ارتضى من رسله على بعض الغيوب، فيلزمكم التصديق بالأحاديث النبوية، التى تتحدث عن بعض الغيوب.

وإن قلتم هو ليس رسولاً، قلنا لكم: لكم دينكم ولنا ديننا وأى الإجابتين أحب إليكم يا ترى؟

أدلة من الواقع المشاهد:

ولنفترض أن منكرى السنة لم يقتنعوا بالبراهين القاطعة التى واجهناهم بها حتى الآن، فإن لدينا ما يقسرهم على التسليم قسرا، بأن الأحاديث التى تحدثت عن بعض الغيوب فيما صحت روايته عن النبى ﷺ، حقائق إيمانية ومعجزات إلهية أجراها العلى القدير على لسان محمد ﷺ، أنبأت يوم قالها على أمور كانت ستحدث بعد دهر طويل. وقد حدثت فعلا، وما تزال تحدث حتى الآن على مرأى ومسمع من جميع الناس.

فهى إذن تجارب خاضعة للفحص والملاحظة والمشاهدة، لا ينكرها عاقل، ولا يمارى فيها منصف أو عنود.

حديث علامات الساعة:

نعنى - هنا - حديث جبريل، ذلك الحديث الذى رواه الإمام مسلم، الذى جاء فيه جبريل عليه السلام فى صورة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه من الجلوس حول رسول الله أحد، وأخذ يسأل الرسول، والرسول يجيب، وهو من مرويات عمر بن الخطاب

رضى الله عنه، والذى جاء فيه ضمن الأسئلة التى سألها هذا السؤال: «قال: فأخبرنى عن الساعة»؟!

فقال الرسول: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»

قال جبريل: «فأخبرنى عن أماراتها».

قال الرسول: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان».

وشاهدنا فى هذا الحديث ذِكرُ النبى ﷺ أمارتين من أمارات الساعة.

- ولادة الأمة سيدها.
- تقلُّب أحوال المجتمعات.

ولعلمائنا شروح «حرفية» لهاتين العبارتين، ومع تقديرنا لشروحهم فإن العبارتين تحتملان معانى أخرى:

فلا مانع شرعا ولا بيانا أن يكون المراد من العبارة الأولى الإشارة إلى تسويد الأمور إلى غيرها – كما جاء فى حديث آخر رواه البخارى «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

فالجاهل يحكم العالم، والوضيع يسود الشريف، والحقير يسيطر على الكريم، والخسيس يعلو على النبيل. والسفيه يؤم الراشد؟

يعنى أن فى هذه العبارة إيماء بليغًا إلى اختلال الأوضاع بين الناس، وتعكيسًا للأُمور عن سننها القويم.

أما العبارة الثانية فلا يبعد أن يكون معناها الزحف الحضارى المادى، حتى يشمل البوادى والصحارى والمراعى والوديان فيصبح من كان حافيا، عاريا، راعيا للماشية، مالكا للقصور والدثور، بعد أن كان يتتبَّع بماشيته شعب البرارى، ومواقع القطر.

وهذا كله واقع مشاهد الآن، ولم يكن له وجود يوم أخبر به النبى المعصوم.

أفليس هذا دليلا قاطعًا على صدق الأحاديث النبوية التى تتحدث عن أمور غيبية، ثم وقعت بعد الإخبار بها بدهور كما وصفها النبى المعصوم ﷺ.

تكوين الأجنة فى الأرحام :

لم يكن فى عصر النبوة طب كما فى هذه الأيام، ولا وسائل كشف أو أشعة تلتقط ما وراء المستور، ومع هذا فقد تحدث رسول الله ﷺ عن مراحل تكوين الجنين فى رحم أمه، وحدد كل مرحلة تحديداً دقيقا فى حديثه الذى سمعه منه أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، ونص الحديث كما فى صحيحى البخارى ومسلم:

«إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة، مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، وينفخ فيه الروح».

والشاهد فى هذا الحديث هو تحديد مدة كل مرحلة من المراحل الثلاث بأربعين يوما. بعدها يبعث الله الروح فيه. ثم جاء الطب الحديث، والتقط صوراً للأجنة وهى فى الرحم وعرف الأطباء أن الروح لا تبعث إلا بعد مائة وعشرين يوما، وتطابقت نتائج المراقبة الطبية مع دلالات الحديث تماما. فكان هذا الحديث معجزة نبوية خالدة، وموضوعه غيب مكانى وزمانى معًا.

نعم. القرآن ذكر أسماء المراحل فى آيات منها ما جاء فى سورة المؤمنون: **﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾** [المؤمنون: ١٢ - ١٤]

ولم يذكر القرآن مدة كل مرحلة، فحددتها السنة بأربعين يوما.

ولم يذكر القرآن لحظة بعث الروح، فبينت السنة أنه يكون على رأس المائة والعشرين يوما (حاصل مجموع ٤٠ + ٤٠ + ٤٠) أو ليس هذا غيبا لم يكن يمكن الاطلاع عليه يوم قال الرسول ﷺ هذا الحديث الإعجازى.

والله عز وجل هو الذى أعلم رسوله بهذا الغيب بما شاء من وسائل الإعلام.

أفبعد هذا يتطاول جاهل أو معاند، فيجعل من أدلة إنكار السنة أنها اقتحمت ستور الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله؟!

لو لم تكن أحاديث الغيب صادقة كل الصدق لكان لهم عذر.

ولكن كيف يكون لهم عذر وهى صادقة كل الصدق أنهم لسوء حظهم عكسوا دلائل الإيمان، فجعلوها دلائل كفر وإلحاد؟ وللناس فيما يعشقون مذاهب. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

obeikandl.com